

الى اي مدى يساهم التماهي او المحاكاة في تحويل المعرفة الى وعي؟



مع اطلالة القرن العشرين وفي بداية السبعينات، بدأنا نسمع كثيراً عن التماهي او المحاكاة خاصة بعد ظهور الحواسيب وتطورها... وفي عصرنا الحالي، بات التماهي القاعدة الاساس التي تركز عليها معظم العمليات التعليمية والتدريبية.

تعرّف مواقع الانترنت التماهي (المحاكاة- التماثل-التقليد)، اي (Simulation) بأنه تقليد وقائع معينة عبر جميع مؤثرات لحدث ما ولأهداف اختبارية، اي انه عبارة عن نموذج يحاكي الواقع. وقد اصبح التماهي من الوسائل المعتمدة في المناهج التدريبية والتربوية على مختلف أنواعها، وايضاً في الابحاث الفيزيائية والفلكية والطبية وغيرها من فروع العلم، وصولاً الى الصناعة والتجارة والى الشركات والمؤسسات. فعبّر التماهي، يُدرّب الاشخاص على مهمات معينة من خلال خلق اجواء ومعطيات وعوامل متطابقة للتجربة الحقيقية. علماً أنّ التكنولوجيا الحديثة كالمبيوتر والمعدات الالكترونية المتقدمة اصبحت من الوسائل المستخدمة لخلق هذه الاجواء، على مثال تلك التي تستعمل في تدريب الاطباء والطارين ورواد الفضاء...

أما الهدف من التماهي في هذه التجارب في رأي العلماء، فهو التعلّم النظري والتمرّن لمواجهة الواقع لاحقاً خاصة من خلال مراقبة النتائج وتحليلها من دون الاضطرار الى تعريض المتدرب الى اية مخاطر أو حتى المخاطرة بآلات نموذجية دقيقة وباهظة التكاليف. والتماهي في رأيهم يساعد أيضاً على الاستفادة القصوى من الوقت... علماً أنه منذ بداية التسعينات، اصبح التماهي او ما يعرف طبيياً بـ Virtual reality medicine من الوسائل العلاجية المستخدمة لمساعدة بعض الاشخاص على تخطي حالات نفسية معينة كالخوف من الطيران أو الاماكن العالية أو المغلقة، الى ما هنالك من رهاب اخرى (phobias).

هكذا يعرف العلم عامة التماهي ويفسر فوائده. أما التماهي من منظور علوم وعي الانسان- الايزوتيريك التي تبحث في بواطن الامور لتكشف حقيقتها، فهو قبل اي شيء لا يركز على المعدات والآلات المتطورة والمكلفة لخلق أجواء مماثلة للواقع من اجل التوصل الى نتائج معينة، بل ينطلق من الانسان نفسه، حيث هو المختبر والمختبر الذي تقوم ابعاد وعيه بكل المعدات والتقنيات والآلات اللازمة... فالتماهي كما تعرّفه علوم انسانية الانسان- الايزوتيريك عملية باطنية يديرها الفكر ويشارك فيها كل من الجسم الكوكبي (جهاز المشاعر) والجسم الاثيري (جهاز الصحة الذي يعرف علمياً بالبيوبلازما) والجسد. (علماً أن شروحات وافية عن مكونات اجهزة الوعي الخفية في المرء مشروحة باسهاب في مؤلفات علوم الايزوتيريك التي فاقت السبعين كتاباً حتى تاريخه والمكتوبة باللغة العربية، وقد تُرجم العديد منها الى الانكليزية والفرنسية والاسبانية والبلغارية والروسية).

انطلاقاً من التعريف المذكور، التماهي في عرف الايزوتيريك تقنية باطنية تتطلب معطيات أولية للنجاح في اتمامها وتحقيق الهدف المرجو منها. وبعض هذه المعطيات تلخص بالتالي:

- ١- معرفة المرء لكيانه الباطني والمادي وفهم آلية عمله وتفاعله في التجارب الحياتية ومع الظروف والعوامل الخارجية. فيقدر ما يتعمق المرء في معرفة نفسه، بقدر ما يقرب التماهي من واقع الحياة ويقطف النتائج الايجابية.
- ٢- دراسة المرء لمكان النقصان في نفسه، (اي الصفات السلبية) وتصحيح المسلك الخاطئ المرتبط به بتجرّد كلي حتى يستطيع تحقيق المجابهة الداخلية في تماهيه لتجربة ما. وقد ورد في كتاب الايزوتيريك "رحلة بين قبائل السليبيات" قائمة بأهم السليبيات التي قد لا يستدرك المرء بأنّها سليبيات يمارسها، وقدم الكتاب المنهج العملي لكيفية التخلص منها.
- ٣- ممارسة قاعدة الفكر الرباعية تفكير، تحليل، تمييز، استنتاج والتي شرح تفاصيل كل منها كتاب الايزوتيريك "تعرف الى فكرك".
- ٤- قوة تركيز ومقدرة على ربط المعطيات بعضها ببعض لخلق الجو الأقرب الى واقع التجربة وادخال المشاعر والافكار تحت تأثيرها وكأن المرء يعيش التجربة بالفعل.
- ٥- هدوء داخلي. هذا الى جانب الاصرار للتوصل الى نتيجة (الهدف من التماهي).
- ٦- وجميع هذه المعطيات، قاعدتها ان يكون النظام والتنظيم والانتظام لازمة حياة المرء اليومية.

بعد ذكر المعطيات الأولية لاتمام التماهي بنجاح، وقبل الولوج في الاهداف من التماهي من منظار علوم الايزوتيريك، قد يتوارد الى ذهن المرء التساؤل التالي: الى اي مدى قد يساهم التماهي في تحويل المعرفة الى وعي خاصة وانه يقتصر الى بُعد واقع التطبيق العملي؟

كوننا نعيش على الارض، إن المعرفة الغائرة فينا او كل ما هو نظري يحتاج الى التظهير في بُعد الواقع عبر التطبيق العملي كي يكتسب المرء الوعي. فعلى سبيل المثال، كل ما يتعلمه المرء من علوم جامعية أو من خلال المطالعة والدراسة، يبقى معرفة خالصة أو نظرية تحتاج الى التطبيق العملي لتتحول وعياً. لكن هل يمكن لهذه المعرفة ان تتحول الى وعي من خلال التطبيق النظري في عملية التماهي؟ لقد جاء في كتاب الايزوتيريك "تعرف الى وعيك" صفحة ٥٤ أن "كل تجربة في حياة الانسان تحمل رسالة محددة. والتجربة لا تتحول وعياً الا من خلال ادراك الرسالة التي تحملها والتعلم منها". فهل يمكننا الاستنتاج ان المرء يفعل الوعي في عملية التماهي حين ينجح في اتمام التجربة واستخلاص العبرة منها... خاصة وأن ابعاد وعي الكيان تتفاعل مع التجربة وكأنها تعيشها فعلاً في ارض الواقع على مثال الاحلام؟ ايضاً، ألا يشبه الوعي المكتسب من استخلاص العبرة من التجربة في التماهي القول المأثور: "لا يكفي أن نتعلم من تجاربنا واطنانا، بل المهم ايضاً أن نتعلم من تجارب واخطاء الآخرين"!!!

إنّ الاستشهاد المذكور يوضح أنّ استخلاص الرسالة والعبرة من التجربة هو الذي يُكسب المرء الوعي. ويؤكد كتاب الايزوتيريك "حوار في الايزوتيريك" ما جاء في صفحة ١٦: "التطبيق ليس بالضرورة تجسيد المعلومة فعلياً بل على الاقل الافادة منها عملياً".

ولعل أكثر ما يوضح دور التماهي الايزوتيريكي الفعّال في استخلاص العبرة من التجربة واكتساب الوعي ما سمعته مرة في محاضرة ايزوتيركية عامة ألقاها مؤسس مركز علوم الايزوتيريك الاول في لبنان والعالم العربي، الدكتور جوزيف مجدلاوي حيث قال: "إن كل تجربة أليمة أو خاطنة، من المهم على المرء أن يعود اليها من خلال الفكر ليخوضها مجدداً ويعيش التجربة بالتماهي كي يعمل على تقويمها بوعيه الحاضر. وهذا ما يساعده على تنظيف بذور الاخطاء الخاصة به، فلا يضيف الى سجله المزيد من التجارب الناقصة التي تتحول الى مناطق قاحلة في النفس والى سلبيات ايضاً" (انتهى الاستشهاد). من هنا، فإنّ التماهي وسيلة ناجعة للانطلاق من الحاضر لمواجهة ثغرات الماضي، ومن الظاهر لاستدراك خفايا الباطن وتنقية النفس من الادران العالقة فيها... فكما جاء في الاستشهاد، إن المرء عبر التماهي يعود الى التجارب الناقصة ليقومها بوعيه الحاضر. أي هو يكمل دائرة التجربة... والترجمة العملية لهذا هو التوصل الى نتيجة، أو خلاصة، أو عبرة او ما يعرف بالتعلم الذاتي. فإن استدرك المرء وفهم مثلاً عبر التماهي الخطأ الذي ارتكبه في تجربة سابقة وقوم هذا الخطأ نظرياً، فقد تسجل هذا الاستدراك كخلاصة أو وعي في باطنه ينطلق منه في مواجهة تجارب مستقبلية جديدة...

فإلى جانب ما ذكر آنفاً عن اهمية التماهي الايزوتيريكي وايجابياته في حياة المرء، هناك ايجابيات واهداف اخرى نتلخص بالتالي:

١. التحرّر نظرياً من النقصان او الضعف الذي يستشفه المرء في داخله، بالتالي يبتكر صوراً فكرية يضع فيها نفسه في مواقف اقرب ما تكون الى الواقع. فالتماهي يساعده على مجابهة هذا النقصان من خلال مواجهة التجارب نظرياً والتمرس على التصرف فيها نقيض ما يقوم به عادة. فهذا التدريب إن لم يطبق عملياً إنما يساعده على تحليل وفهم ضعفه ومعالجته. وهذا ما يؤدي ايضاً الى اضعاف السلبية من خلال التوعي الى وجودها كما جاء في كتاب الايزوتيريك "رحلة بين قبائل السلبيات".
٢. التمرّن مسبقاً على خوض تجربة جديدة كاجراء مقابلة لعمل جديد، او القاء محاضرة، الخ... فهذا ما يوسّع الوعي ولو نظرياً، وبعثق الفكر إذ يتمرّن الباحث (على قدر مستوى وعيه) على خلق كل الاحتمالات والمفاجآت وحتى المطبات والعثرات، فيتحصّر لها ويقلص من احتمال الوقوع في الخطأ حين تأتي التجربة في ارض الواقع.
٣. التمرّس على مواجهة مشكلات تعترض المرء واتخاذ المواقف بحكمة التصرف. إذ إنّ التماهي عملية فكرية بامتياز من خلالها يتدرب الباحث على التحكم بمشاعره.
٤. تقوية قاعدة الفكر الرباعية (تفكير- تحليل- تمييز- استنتاج) واكتساب المقدرة على التركيز والربط والتوثب الفكري والتخطيط والتنظيم... فبالتماهي ينفذ الباحث المخطط نظرياً ويغوص في التفاصيل ليكتشف الثغرات.
٥. الثقة بالنفس نتيجة اتقان التجربة ولو نظرياً.
٦. الاستفادة من الوقت واختصاره حين يصر الى تحويل التجربة من البُعد النظري الى العملي.

قد يكون التماهي تقنية خاصة، مميزة واستثنائية من حيث اكتساب الوعي خارج اطار التطبيق العملي الحياتي المتعارف عليه... فهل يا ترى سيصبح هذا الاستثناء أكثر عمومية في مستقبل تطور الانسان عندما يصبح مسؤولاً عن أفكاره وحتى عن أحلامه وعندما يصبح الوقت أثمن من الحياة كما تقول علوم وعي الانسان؟